مجلة كليّة

الدعوة الإسلامية

مجلّة إسلاميّة - ثقافيّة - جامعة - محكمة

العدد التاسع

1992 م.

تسامح المسلمين تجاه النصارى
في الأندلس وصقلية وكريت
في القرنين التاسع والعاشر الميلاديين (*)

الدكتور توفيق أمين الطيبي
جامعة الفاتح - الجماهيرية العظمى

يستهدف هذا البحث إعطاء عرض تاريخي لبعض جوانب وأمثلة تسامح المسلمين تجاه الجاليات المسيحية في ثلاثة بلدان تقع على حافة دار الإسلام، هي الأندلس وصقلية وكريت (اقريطش) في فترة زمنية محددة هي القرنان التاسع والعاشر الميلاديان، قُبيل بداية الحركة الصليبية في أوروبا. إن هذا التسامحَ الإسلاميَّ كان على النقيض تماماً من المعاملة التي لقيها المسلمون في هذه البلدان الثلاثة بعد استيلاء النصارى عليها. فما إن انتهى القرنُ العاشر - بالنسبة لجزيرة كريت - وما إن حلَّ منتصفُ القرن الثالث عشر - بالنسبة لجزيرة صقلية - حتى انهي الوجود الإسلامي في هاتين الجزيرتين بالبحر المتوسط. وأما بالنسبة

(*) قُدِّم البحثُ في الندوة العلمية «حول التسامح الديني وعدم التسامح الديني في مجتمعٍ متعدد الثقافات»، وهي الندوة التي عُقدتْ في الفترة 24 - 26 اكتوبر 1990 بجامعة كولومبيا البريطانية، فانكوفر (كندا).

للأندلس، فإن الموريسكيين «المتنصرين» طُردوا جملةً وبالقوة من وطنهم عام 1610 م.

الأندلـــس:

إن النصارى واليهود ـ بوصفهم من أهل الكتاب ـ عاملهم المسلمون كأهل ذمةٍ تمتعوا بالحماية في الأنفس والأموال، وبقدرٍ كبيرٍ من التسامح في مقابل أدائهم الجزية، كما أنهم أُعفوا من الخدمة العسكرية ومن أداء الزكاة.

إن المسلمين لم يلجؤوا في البلاد التي فتحوها إلى إكراه أهل الذمة على اعتناق الدين الإسلامي، وذلك عملاً بالآية الكريمة ﴿**لا إكراهَ في الدين**﴾[1]. بل إن النصارى حَظَوا في الدين الإسلامي بمكانة خاصة ﴿**ولتجدنَّ أقربَهم مودةً للذين آمنوا الذين قالوا إنـا نصارى، ذلـك بأن منهم قسيسين ورهبـاناً، وأنهم لا يستكبرون**﴾[2].

إن كتابَ الصلح الذي بعث به عبد العزيز بن موسى بن نُصير إلى تُدْمير Theodemir ـ أمير مُرْسية القوطي ـ سنة 94 هـ/ 713 م يشتمل على تأمين الأمير وأتباعه في الأنفس والأموال، كما ينص على أن «لا يُكرهوا على دينهم، ولا تُحرق كنائسهم، ولا تُنزع عن ملكه ما تعبد»، شريطة أن «لا يؤوي لنا آبقاً، ولا يخيف لنا آمناً، ولا يكتم خبر عدو»، وعلى أن يؤدي ضريبةً محددةً بعضها نقداً وبعضها عَيْناً[3].

وباستثناء ما يقترفه الذمِّيُّ ضد الشريعة الإسلامية، فإن النصارى سُمح لهم بالتقاضي أمام قضاتهم (قضاة النصارى/ العجم) وبموجب شرائعهم. وكان لهم مطلقُ الحرية في ممارسة ديانتهم.

إن تسامحَ المسلمين تجاه رعاياهم من النصارى في الأنـدلس وحريـة

---

(1) سورة البقرة، آية: 256.

(2) سورة المائدة، آية: 82.

(3) الحميري، محمد: الروض المعطار، بيروت 1975. ص 132.

الاختلاط أدّيا إلى قيام قدر من الاندماج بين الجماعتين، وكثرتْ حالاتُ زواج المسلمين بنساء نصرانيات[4].

يقول توماس أرنولد «إن قيام شيءٍ من الاضطهاد خلال فترة السيادة العربية في الأندلس يتمثّل في التدابير الصارمة التي اتُّخذتْ لقمع ذلك الحمق من الاستشهاد الطوعي الذي شهدتْه قرطبة في منتصف القرن التاسع الميلادي [850 ـ 865 م]. ففي تلك الفترة، ظهرتْ إلى حيِّز الوجود جماعةٌ متعصبةٌ من النصارى في قرطبة [قوامها قسيسون ورهبان وراهبات] بدأت ـ علَناً ودون أي مبرر أو إثارة ـ بالتهجم على الدين الإسلامي، والنَّيْل من النبي ﷺ، قاصدة ـ عمداً ـ أن يكون جزاؤها الموت»[5]. إن هذه الجماعة المتعصبةَ الهستيرية تزعّمها رجلان، أحدهما قسيس هو يولوجيوس Eulogius، والثاني محامٍ هو ألبارو Alvaro. وكان ألبارو يستهدف بكل وضوح جعلَ تعايش النصارى مع المسلمين أمراً مستحيلاً[6].

وقد فزع أميرُ قرطبة الأموي محمد بن عبد الرحمن من هذه الحركة خشيةَ قيام تمرد كبير في البلاد، فأنفذ جيشاً عام 853 م ضد نصارى طليطُلة الذين ثاروا ـ بتحريضٍ من يولوجيوس ـ لما تناهى إلى أسماعهم نبأُ ما حلَّ بإخوانهم في الدين في قرطبة.

أما الجماعة المعتدلة في الكنيسة ـ وعلى رأسها أسقف إشبيلية ـ فقد أيدتْ جهودَ الحكومة، فعُقد مجلس كنَسي عام 852 م لبحث الموضوع تمَّت الموافقةُ فيه على التدابير التي أدَّتْ آخر الأمر إلى قمع الحركة[7].

وعلى الأثر، قام الأمير محمد بطرد كافة الموظفين النصارى في الدولة، باستثناء قومس Gómez بـن انتنيان Antonian، كما أمر بهدم الكنائس التي شُيِّدت بعد فتح المسلمين للأندلس، وكذلك بهدم دَيْر طبارنوس Tabarnos قرب قرطبة، وهو الدير الذي اعتُبر ـ بحقٍّ ـ وَكْراً للتعصب[8].

---

(4) Arnold, T.W., **The Preaching of Islam**, London, 1935, p.136.

(5) نفسه، ص 141.

(6) Daniel, N., **The Arabs and Medieval Europe**, Beirut 1975, p.50.

(7) Arnold, p.142.

(8) Dozy, R., **A History of the Moslems in Spain**, London 1913, p.299.

لم تُسجَّلْ حالة واحدة عن نصراني أعدمه المسلمون بسبب دينه في الأندلس قبل منتصف القرن التاسع الميلادي. وتمتّع المستعربون من نصارى الأندلس بقسط كبير من الحرية في ممارسة شعائر دينهم[9]. إن إعدام أرجنتيا Argentea ابنة الثائر «المرتد» عمر بن حفصون (931 م) هو آخر إعدام جرى في الأندلس لنصرانيٍّ سعى إلى «الاستشهاد» بنيله من الإسلام ورسوله.

يروي الخُشني (ت 361 هـ/ 971 م) حكايةَ أحد هؤلاء النصارى المتهورين الساعين إلى «الاستشهاد». فقد مثل أمام القاضي أسلم بن عبد العزيز «رجلٌ من النصارى مستقتلاً لنفسه، فوبَّخه أسلم وقال: ويلَك، من أغراك بنفسك تقتلها بلا ذنب؟... فقال للقاضي: وتتوهمُ أنك إذا قتلتني أني أنا المقتول؟ فقال له القاضي: ومن المقتول؟ فقال له: شبيهي يُلقى على جسد من الأجساد فتقتله، وأما أنا فأُرفع في تلك الساعة إلى السماء!». ولما أمر القاضي بجلده لإثبات خطأ ما يزعم، أخذ النصراني يصيح. «فقال له أسلم: في ظهر من تقع هذه السياط؟ فقال: في ظهري. قال له أسلم: وكذلك السيف، والله في عنقك يقع، ولا تتوهمْ غيرَ ذلك»[10]. إن الباحثَ في هذه القضايا يلاحظ أن القضاةَ كانوا يُبدون تردداً كبيراً قبل أن يُقدموا على إصدار أحكام الموت على هؤلاء المستميتين الذين لم يتركوا للقضاة خَياراً آخر[11].

ومن الأمثلة على تسامح المسلمين حكايةُ قومس بن انتنيان الذي اعتنق الإسلام وشغل منصبَ كاتب للأمير محمد. فبالرغم من سعايات حُسَّاده من ذوي النفوذ من رجال البلاط الذين زعموا أن قومس مات على دين النصرانية، فإن الأمير أبقى قومس في منصبه حتى وفاته. وبأمرٍ من الأمير آلتْ أمواله إلى أقربائه وذويه لا إلى بيت المال كما أراد أعداؤه. وقد اشتهر قومس هذا بعد إسلامه بالورع والتقوى، حتى إن أحد الفقهاء «كان إذا قعد في الجامع قال على رؤوس الناس:

---

(9) Haines, C.R., **Christianity and Islam in Spain,** London 1889, p.54.

(10) الخُشَني، محمد: قضاة قرطبة، القاهرة 1966. ص 108.

(11) Daniel, p.30.

مَنْ مثلُ قومس السَّجَّاد العَبَّاد، حمامة هـذا المسجد، يقـال فيه مـات على النصرانية؟!»[12].

ومما يُذكر أن الكتابة كانت على ضربيْن، أعلاهما كاتبُ الرسائل، وهو المنصب الذي شغله قومس، والثاني كاتب الزمام (المالية) «ولا يكون بالأندلس وبر العُدوة [المغرب] لا نصرانياً ولا يهودياً البتّة»[13].

وبعد الهزيمة التي لحقتْ بالثائر عمر بن حفصون في وقعة بلاي سنة 891 م، حاول هذا الثائر أن يجمعَ من حوله النصارى من سكان كورة مالقة، فاعتنق لذلك ـ كما يبدو ـ النصرانية (899 م). إلا أن عملَه هذا كان عاملاً كبيراً في هزيمته آخر الأمر، إذ إن مؤيديه من المولَّدين، وهم المسلمون من أهل إسبانيا، انفضّوا من حوله، وأعلن الفقهاءُ الجهادَ ضده باعتباره مرتداً عن الدين الإسلامي[14].

وكان من بين من انضمَّ إلى عمر بن حفصون في قيامه على أمير قرطبة شربند Servande ابن قومس (رئيس) النصارى في قـرطبة لحقـدٍ احتمله على الأميرِ عبد الله بن محمد في حبس أخيه بذنبٍ اقترفه. وهلك شربند هذا وهو يقود غارةً في أحواز قرطبة. إلا أن النصارى المستعربين في قرطبة لم يستجيبوا لنداء شربند بالقيام على الأمير[15].

وبالرغم من طول أمد ثورة ابن حفصون وأبنائه من بعده (880 ـ 928 م)، فإن معاملة الخليفة عبد الرحمن الثالث (الناصر لدين الله) لرعاياه من النصارى تميَّزتْ طوال فترة حكمة الطويل (912 ـ 961 م) بالتسامح والتبصُّر.

وكان الخليفة الناصر كثيراً ما يعهد لأساقفة النصارى بمهمات خاصة. ففي عام 941 م، عهد إلى أساقفة إشبيلية وبَجَّانة وإلبيرة بالسفارة عنه إلى ملك ليون.

---

(12) الخُشني، ص 76 ـ 77.

(13) المقَّري، أحمد: نفح الطيب، بيروت 1968. 1/ ص 217.

(14) الطيبي، أمين: دراسات وبحوث في تاريخ المغرب والأندلس، الدار العربية للكتاب 1984. ص 146.

(15) ابن حيان، أبو مروان: المقتبس، باريس 1937. 3/ ص 102.

وقد تكلّلت هذه السفارة بالنجاح في الإفراج عن أسير حربٍ عربي كبير من سرقسطة، هو محمد بن هاشم[16].

وكان الطبيب النصراني يحيى بن إسحاق طبيبَ الناصر الخاص ومن المقرَّبين إليه. وقد شغل منصبَ وزير، وأصبح فيما بعد والياً (قائداً) على بَطَلْيوس[17].

وأوفد الناصر سنة 956 م أسقفَ إلبيرة المستعربَ ريكاموند (ربيع بن زيد بالعربية) مبعوثاً عنه إلى الامبراطور الألماني أُتو الكبير[18]، ونجح في تسوية الإشكال الذي أحاط بسفارةٍ كان قد أوفدها الامبراطور إلى الخليفة بقرطبة.

وقام الحَكَم الثاني (المستنصر بالله) ـ ابن الناصر وخلَفُه ـ باستخدام أساقفة النصارى مترجمين في بلاطه، ومن بينهم قاضي النصارى بقرطبة أصبغ بن عبد الله بن نبيل، والمطران عُبيد الله بن قاسم[19].

ولما بلغ المنصور محمد بن أبي عامر شنت ياقوب في أقصى شمال إسبانيا (997 م)، في غزاته الثامنة والأربعين الشهيرة، وجد المدينةَ مهجورة، «فوكّل المنصورُ بقبر ياقوب [القديس يعقوب] من يحفظه ويمنع الأذى عنه». ولم يجد المنصورُ بشنت ياقوب إلا شيخاً من الرهبان جالساً على القبر، فسأله عما يفعل، فقال الراهب «أوانس يعقوب». فأمر المنصور بالكفِّ عنه[20].

إلا أن هذا المناخ من التسامح الديني من جانب المسلمين في الأندلس انتهى في أواخر القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي لما بدأ النصارى ما يدعونه بحرب «الاسترداد»، وبعد سقوط طليطلة في أيدي النصارى (478 هـ/ 1085 م)، وقدوم المرابطين إلى الأندلس لنجدة المسلمين فيها.

---

(16) ابن حيان، المقتبس، مدريد 1979. 5/ ص 467.

(17) ابن جلجل، سليمان: طبقات الأطباء، القاهرة 1955. ص 100.

(18) المقّري: نفح الطيب، 1/ ص 365.

(19) ابن حيان: المقتبس، 7/ ص 146 ـ 147.

(20) ابن عِذاري المراكشي: البيان المُغرب، بيروت 1980. 2/ ص 296 ـ 297.

ويمكن تلمُّسُ تصلب المواقف بالنسبة للمسلمين من خلال ما ذكره ابنُ عبدون الإشبيلي (أوائل القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي) بوجوب زواج القسيسين كما يحدث في الشرق، وبوجوب منع قرع أجراس الكنائس في بلاد المسلمين، وبوجوب منع ابتياع الكتب في العلوم من أهل الذمة، إذ إن هؤلاء يترجمون كتبَ المسلمين ثم ينسبونها إلى أساقفهم[21]. ومن الجانب المسيحي، فقد نشط رهبانُ دير كلوني (بجنوب فرنسا) في الحض على تجهيز حملات صليبية لطرد المسلمين من بلاد الأندلس.

وبعد سقوط غرناطة سنة 1492 م، قرر العاهلان الكاثوليكيان فرديناند وإيزابيلا بأن لا يُسمحَ في إسبانيا لغير النصرانية ديناً، ولذلك طُرد من البلاد اليهود أولاً، ثم الموريسكيون «المتنصرون». «وهكذا، فإن الوحدة الدينية وعدمَ التسامح أصبحا السياسة الرسمية للدولة الإسبانية»[22].

ويصف مؤلفٌ هنديٌّ مسلمٌ هو زين الدين المَعْبري (القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي) السياسةَ الدينيةَ التي انتهجها البرتغاليون نحو المسلمين لدى وصول البرتغاليين إلى ساحلِ مُلَيْبار بالهند فيقول إنهم لجؤوا إلى «تعطيل أسفارهم [المسلمين] خصوصاً سفر الحج، ونهب أموالهم، وإحراق مساجدهم... ووطء المصاحف والكتب بأرجلهم، وإحراقها بالنار، وهتك حرمات المساجد، وتحريضهم على قبول الردة والسجود لصليبهم... وسب رسول الله ﷺ جَهاراً... ثم إن بُغيتهم العظمى وهمَّتَهم الكبرى ـ قديماً وحديثاً ـ تغييرُ دين المسلمين وإدخالُهم في النصرانية»[23].

صقلِّيــة الإسلاميــة:

بدأ افتتاحُ العرب لجزيرة صقلية عام 212 هـ/ 827 م، وسُرعان ما استولَوْا على معظم الجزيرة من أيدي الروم البيزنطيين. وقد بقيت صقلية تحت السيادة

---

(21) ابن عبدون، محمد: رسالة في القضاء والحسبة، القاهرة 1955. ص 49 ، 55 ، 57.

(22) O'Callaghan, J.F. **A History of Medieval Spain**, Cornell U.P. 1975, p.23.

(23) المعبري زين الدين: تحفة المجاهدين، تحقيق أمين توفيق الطيبي، منشورات كلية الدعوة الإسلامية 1987. ص 88 ـ 90.

الإسلامية نيِّفاً وقرنين ونصف القرن من الزمن إلى أن استولى عليها النورمان من جنوب إيطاليا (484 هـ/ 1091 م).

إن المدنَ والطبقاتِ المثقفةَ في صقلية قبيل استيلاء العرب عليها كانت يونانيةً ديانةً وثقافةً، وبقيتْ بعضُ آثار ذلك ظاهرةً للعِيان في نهاية فترة السيادة العربية على الجزيرة.

وبعد افتتاح العرب للجزيرة تحسَّنتْ أوضاعُ سكان صقلية، ولم يكن يُفرض عليهم ـ كأهل ذمة ـ سوى أداء الجزية.

لقد طرأتْ زيادة كبيرة على السكان المسلمين في صقلية نتيجةً لتدفق المستوطنين من شمال إفريقيا ومن المشرق، وكذلك نتيجةً لاعتناق أعداد كبيرة من النصارى الدين الإسلامي. وكثيراً ما أقدم العبيدُ النصارى على اعتناق الإسلام أملاً في أن يُعتقوا أو في تحسُّن معاملتهم. وكما يقول المؤرخ ماك سميث فإن «الإسلام كان أكثرَ تعاطفاً من المسيحية تجاه العبيد. ويؤْثر أولئك العمالَ الذين لهم اهتمام إيجابي بزيادة الإنتاج»[24].

إن السكانَ النصارى في صقلية الذين عاشوا في ظل حكم المسلمين كانوا أحسنَ حالاً من أولئك الذين كانوا تحت حكم اللمبارد أو الفرنجة في إيطاليا. ويبدو أن عبءَ الضرائب كان أخفَّ مما كان عليه في عهد الروم البيزنطيين[25].

إن المدن التي كانت تَستسلمُ للمسلمين كان يُسمح لسكانها بممارسة ديانتهم، أما المدن التي كانت تُبدي مقاومةً (كما حدث بالنسبة لسرقوسة عام 878 م وبالنسبة لطيرمين Taormina عام 902 م)، فإن سكانها كانوا إما أن يلَقوا حتفَهم وإما أن يُسترَقُّوا[26].

وبعد قرون من استبداد البيزنطيين وفداحة ضرائبهم، يبدو أن الصقليين أبدَوْا ارتياحاً للتبدل في حكامهم. إن الحكام المسلمين الجُدد كانوا أقلَّ تعصباً دينياً من الكنيسة الأرثوذكسية بالقسطنطينية، التي كانت آنذاك تناهض عبادةَ الصور. ومع أن

---

(24) Smith, D.M., **Medieval Sicily**, London 1969, p.6.

(25) عزيز أحمد: تاريخ صقلية الإسلامية، ترجمة أمين الطيبي، الدار العربية للكتاب 1980.

(26) Smith, p.4.

كنائسَ كثيرةً تحوَّلتْ إلى مساجد، فإن النصارى عموماً تُركتْ لهم قوانينُهم، وتمتعوا بالضمانات القانونية ـ كالمسلمين ـ لأشخاصهم وأموالهم[27].

ومع أن الوضعَ الاجتماعيَّ للنصارى في صقلية كان دون وضع المسلمين، إلا أن ذلك لم يبلغ حدَّ الاضطهاد الديني. كما أن رجال الدين النصارى المحليين لم يتزعَّموا ـ كما حصل في قرطبة ـ حركةَ مقاومة دينية. وإجمالاً، فإن علاقاتٍ يسودها التسامحُ سادتْ بين الديانتين في الجزيرة.

إن التحالفَ الذي قام بين البيزنطيين النصارى وبين الأمويين المسلمين في الأندلس ضد الفاطميين في شمال إفريقيا في القرن العاشر الميلادي يدلُّ على أن الديانةَ لم تكن عائقاً في سبيل قيام مثل هذا التحالف. كما أن الصراعَ الطويلَ ـ براً وبحراً ـ بين الفاطميين وبين البيزنطيين في صقلية وجنوب إيطاليا لم يتَّخذْ طابعَ مجابهة دينية.

ويتحدث الجغرافيُّ المشرقيُّ ابنُ حوقل ـ وقد زار جزيرة صقلية سنة 973 م ـ عن فرقةٍ من مسلمي صقلية في الأرياف والحصون يدعو أتباعَها بالمشعوذين، ومعظمهم من الموالي والعبيد، «رأيهم التزويجُ إلى النصارى، على أن ما كان بينهم من ولد ذكر لحق بأبيه من المشعوذين، وما كانت من أنثى فنصرانيةٌ مع أمها، لا يصلُّون ولا يتطهَّرون ولا يزكُّون ولا يحجُّون»[29].

وبعد قرن من سقوط صقلية في أيدي النورمان من جنوب إيطاليا، مر الأندلسيُّ ابنُ جبير بجزيرة صقلية في طريق عودته إلى بلاده من الحج. ويتحدث ابنُ جبير مستفيضاً عن سوء أحوال مسلمي صقلية فيقول إن بعضَهم أكره على التنصر وكلُّهم أو أكثرُهم كاتمٌ إيمانَه متمسك بشريعة الإسلام... ولا جمعةَ لهم بسبب الخطبة المحظورة عليهم... وضربوا عليهم إتاوةً في فصلين من العام يؤدونها، وحالوا بينهم وبين سعةٍ في الأرض كانوا يجدونها»[30].

---

(27) نفسه، ص 5.

(28) نفسه، ص 6.

(29) ابن حوقل، محمد: صورة الأرض، بيروت (دون تاريخ)، ص 123.

(30) ابن جبير، محمد: رحلة ابن جبير، بيروت 1968. ص 266 ، 268 ـ 269.

كريت (اقريطش) الإسلامية:

لم يُعرف عن الفاتحين الأندلسيين لجزيرة كريت عام 212 هـ/ 828 م بأنهم قاموا بتدمير الكنائس أو حرقها في الجزيرة. وكما هو الحال في بقية البلدان الإسلامية، فإن نصارى كريت عوملوا معاملةَ أهل الذمة.

إن انتشارَ الإسلام في كريت لم يكنْ نتيجةً لإكراه السكان الوطنيين على اعتناق الإسلام، بل كان ـ في معظمه ـ نتيجةً لتدفق المستوطنين المسلمين على الجزيرة. وقُبيل استعادة البيزنطيين للجزيرة عام 961 م، كتب الإصطخري يقول إن سكانَ اقريطش (كريت) جميعاً مسلمون أهلُ غزو، وأنه يعيش بينهم نَبْذٌ (قلة) من النصارى، كما هو الحال في بقية أراضي المسلمين[31].

إن قيام حركة مناهضة الصور (Iconoclasm) في الإمبراطورية البيزنطية آنذاك خلَق جواً من التذمر في الجزيرة، وكان عاملاً ساهم في تسهيل افتتاح المسلمين لها. وفضلاً عن ذلك، كان للكريتيين ظلاماتُهم من سوء الإدارة البيزنطية وفداحة الضرائب. وليس ثمة أساس من الصحة للزعم القائل بأن المسلمين أرغموا السكانَ المحليين على مقاومة حركة مناهضة الصور. فالمسلمون نظروا إلى مناهضي عبادة الصور (الإيقونات) ومساندِيها نظرةً واحدةً، ألا وهي أنهم كلُّهم نصارى[32].

إن عدمَ الإشارة في المصادر إلى قيام ثورات من قِبَلِ السكان المحليين يدلُّ على أنه ـ بالإضافة إلى اعتدال الضرائب ـ ساد كريت جوٌّ من التسامح الذي جرى عليه المسلمون في الأراضي التي افتتحوها[33].

إن بعضَ الكنائس أُهملتْ أو هُجرتْ نتيجةً للتغييرات الديموغرافية التي حدثت في الجزيرة، إلا أن ثمة ما يدل على تشييد كنائس جديدة أثناء الفترة الإسلامية، ككنيسة القديس نيقولاس[34].

---

(31) الإصطخري: كتاب المسالك والممالك، ليدن 1927. ص 70.

(32) Christides, Vi., **The Conquest of Crete by the Arabs,** Athens 1984, p.113.

(33) نفسه، ص 108.

(34) نفسه، ص 111.

إن ما زعمه جينيسيوس Genesios من أن سيريل Cyril، أسقف جورتين عاصمة كريت القديمة، خيَّره الفاتحون المسلمون بين اعتناق الإسلام أو الموت، وأن الأسقف اختار الاستشهاد، زعمٌ لا أساسَ له من الصحة. فالأسقف كان قد استُشهد في فترة اضطهاد النصارى في أراضي الإمبراطورية الرومانية على عهد الإمبراطور ديسيوس قبل ذلك بخمسة قرون[35].

توجد في جزيرة كريت 260 كنيسة مقامة فوق ذروات الصخور شُيِّد معظمها في الفترة ما بين القرنين الثالث عشر والثامن عشر، ولم تُشيَّد واحدةٌ منها في فترة الحكم العربي لجزيرة كريت. وهذا يدل على أن نصارى كريت لم يُكرهوا في فترة السيادة العربية ـ كما حدث لهم في عهد حكم البنادقة والعثمانيين ـ على اللجوء إلى الكنائس المقامة على ذرى الصخور في أماكنَ نائيةٍ لممارسة شعائر دينهم[36].

ولما استعاد البيزنطيون جزيرةَ كريت عام 961 م، قاموا بحملةٍ تبشيريةٍ نشطةٍ لتنصير السكان المسلمين كَرْهاً وباللجوء إلى الضغوط. إن هذه الحملةَ التبشيريةَ بدأها نيقوفور فوقاس فاتحُ الجزيرة الذي جلَب جماعاتٍ من اليونان والأرمن لاستيطان الجزيرة، وهو الذي دعا القديس نيقون St. Nicon من آسيا الصغرى، وعَهد إليه بمهمة تنصير مسلمي الجزيرة. إن سياسةَ الإمبراطورية البيزنطية آنذاك كانت تتوخى إيجادَ وحدة ثقافية ودينية في كافة أراضي الإمبراطورية.

ويتحدث ابنُ جبير وعبدُ الواحد المراكُشي عن تنصيرٍ تدريجيٍّ وقع لمسلمي كريت، وعن نزوح بعض مسلمي الجزيرة إلى الأندلس وصقلية ومصر[37]. أما روايةُ النويري عن تنصير مسلمي كريت فإنها تبيِّن بأن أعيانَ مسلمي كريت أُكرهوا على التنصر بلجوء السلطات البيزنطية في القسطنطينية إلى الخديعة والضغوط معاً[38].

---

(35) نفسه، ص 92 ـ 93.

(36) نفسه، ص 111.

(37) المراكُشي، عبد الواحد: المُعجِب في تلخيص أخبار المغرب، القاهرة 1949. ص 211. رحلة ابن جبير، ص 280.

(38) يُنظر أحمد النويري: تاريخ الغرب الإسلامي في العصر الوسيط (من كتاب: نهاية الأرب في فنون الأدب)، تحقيق مصطفى أبُو ضيف أحمد، الدار البيضاء 1984. ص 285 ـ 286.